الفصل الثاني

في ترتيب الخلفاء الراشدين

المبحث الأول

في خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه

قال : إِمَامُنَا بِإِشَارَاتِ الرَّسُـولِ أَبُـو بَكْرٍ كَمَا أَجْمَعَ القَاصِي مَـعَ الـدَّانِي

أقول[1] : اختلفوا في تنصيص النبي ﷺ على إمام بعده . فذهب الجمهور من الأشاعرة والمعتزلة والخوارج إلى نفيه[2] وذهب آخرون إلى ثبوته ، ثم اختلفوا فمال[3] الحسن البصري [4] إلى أنه ﷺ قد نص على أبي بكر نصا خفيا وهو تقديمه في الصلاة ، وقال بعض أصحاب الحديث[5] أنه ﷺ نص عليه نصا جليا وهو قوله « ائتوني

---

(١) لمزيد من الدراسة انظر مقالات الإسلاميين: ١٤٤/٢ ، أصول الدين: ٢٨١-٢٨٤ ، الأربعين: ٢٧٠/٢-٣٠٠ ، طوالع الأنوار: ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، شرح المقاصد: ٤٩١/٣-٥١٤ .

(٢) وكان الأشعري «ينكر قول من قال إن إمامته كانت بنص من رسول الله ﷺ». انظر مجرد مقالات الشيخ الأشعري لابن فورك: ١٩٢ .

(٣) ز: فقال .

(٤) هو: الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد التابعي المشهور ، إمام أهل البصرة ، حبر الأمة في زمنه ، وهوأحد الفقهاء العلماء الفصحاء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة المنورة عام ٢١ هـ ، وشب في كنف الإمام علي بن أبي طالب ، ثم سكن البصرة وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة ؛ فيأمرهم وينهاهم.توفي سنة ١١٠ ، وله كتاب فضل مكة . انظر حلية الأولياء: ١٣١/٢ ، طبقات الصوفية للإمام المناوي: ٢٥٤/١-٢٦١ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣١٦/١-٣١٨ والأعلام: ٢٢٦/٢ .

(٥) وبعض أصحاب الأشعري أيضا كما في أبكار الأفكار: ١٤٠/٥ .

بدواة وقرطاس لأكتبن[1] لأبي بكر كتابا لا يختلف فيه[2] اثنان» ثم قال «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر»[3].

وذهبت الشيعة إلى أنه[4] قد نص على على بن أبي طالب، أما النص الخفي فبالاتفاق. وأما النص الجلي فعند الإمامية. وهو قوله ﷺ مشيرا إليه وآخذا بيده «هذا خليفتي فيكم من بعدي»[5].

وأنكره أهل الحق إذ لو كان في حقه ذلك لاشتهر فيما بينهم واللازم منتف وإلا لم يتوقفوا عن الانقياد والعمل بموجبه، ولم يقع بينهم تردد في سقيفة بني ساعدة. وفيه أنه يجوز أن يكون ترددهم بناء على تعارض النصوص عندهم فلا يدل ذلك على انتفاء النص في حقه. نعم[6] يدل ذلك على انتفاء نص يثبت خلافة على وينفي الخلافة عن غيره بعيد وفاته. وبهذا ظهر أيضا ضعف الاستدلال عليه بقول العباس لعلي «امدد يدك أبايعك[7] حتى يقول[8] الناس هذا عم الرسول بايع ابن عمه فلا يختلف عليك[9] اثنان»[10].

والأظهر أن يقال أن ما ذكرتم إنما يدل على حقية خلافة على بعد الرسول ونحن لا ننكرها بل ندعى أيضا حقية خلافة أبي بكر كما يشير إليها الآيات

---

(١) أول ق ٨٩ في ز.
(٢) ز: في.
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، عن عائشة، بلفظ متقارب من هذه الرواية: ١٨٥٧/٤، رقم (٢٣٨٧)، وأحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، عن عائشة: ١٤٤/٦، رقم (٢٥١٥٦).
(٤) أ: بدون (أنه).
(٥) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، في مسند بني هاشم: ٣٣٠/١، رقم (٣٠٦٢).
(٦) ز: زيادة (نعم).
(٧) ز: بدون (أبايعك).
(٨) ز: تقول.
(٩) ز: عليه.
(١٠) ورد في أنساب الأشراف: ٥٨٣/٢، ٥٨٦ «لما قبض رسول الله ﷺ قال العباس لعلي: اخرج حتى أبايعك على أعين الناس؛ فلا يختلف عليك اثنان، فأبى وقال: أو منهم من ينكر حقنا، ويستبد علينا».

والأحاديث ، منها قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (النور:٥٥) فإن فيه وعد الخلافة لجماعة من المؤمنين المخاطبين وهم الصحابة ، ولم يثبت لغير الأئمة الأربعة فثبت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أيضا . ومنها ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ (الفتح:١٦) ، والمراد بالداعي أبو بكر[١] عند الأكثرين والقوم قوم مسيلمة الكذاب وقيل فارس فالداعي عمر في خلافته . ومنها قوله ﷺ «اقتدوا بالذَيْنِ بعدي أبي بكر وعمر»[٢] .

وقوله عليه السلام «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يصير ملكا[٣] عضوضا»[٤] أي ينال الرعية منهم ظلم كأنهم يعضون عضا . وكانت خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنى عشر وخلافة على ست سنين . ومنها ما تقدم فإن فيها إشارة بل تصريحا[٥] بحقية خلافته كما ادعاه أصحاب الحديث . والعمدة في إثبات خلافته إجماع الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا كما صرح المحقق بقوله «كما أجمع القاصي مع الداني» فالمراد بالداني هو الصحابة وبالقاصي من بعدهم من القرون ، ويحتمل أن يريد بالداني من اجتمع في سقيفة بني ساعدة وبالقاصي الذين كانوا خارجين عنها .

* * *

---

(١) ز: بدون (أبو بكر) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، عن حذيفة ، وابن مسعود: ٦٠٩/٥ ، ٦١٠ ،٦٦٨ ، ٦٧٢ ، رقم (٣٦٦٢) ، (٣٦٦٣) ، (٣٧٩٩) ، (٣٨٠٥)، وأحمد في مسنده ، عن حذيفة: ٣٨٢/٥، رقم (٢٣٢٩٣).

(٣) ز: ملوكا .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٢٢٦) عن سفينة ، وقال: حسن ، وأبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في الخلفاء: ٢١١/٤ ، رقم (٤٦٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير: ٨٣/٧ ،٨٤ ، رقم (٦٤٤٤) ، ولمزيد من البحث انظر دلائل النبوة للبيهقي: ٣٤١/٦ ، ٣٤٢ باب في أخباره ﷺ عن مدة الخلافة بعده ، ثم تكون ملكا عضوضا ، فكان كما أخبره .

(٥) أ: تصريح .

المبحث الثاني

في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه

قال: وَبَعْدُ نَصَّ أَبُــو بَكْــرٍ لِفَــارُوقِ وَبَعْدَهُ صَــارَ شُــورَى بَــيْنَ أَرْكَــانِ

أقول: قد علم مما نقله فيما سبق حقية خلافة عمر وعثمان وعلى إلا أن العمدة في إمامة عمر نص أبي بكر باستخلافه فإنه دعى في مرضه الذي[1] توفى فيه[2] عثمان ابن عفان وأمره أن اكتب «هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده من الدنيا وأول عهده بالعقبى يبر فيها الفاجر ويؤمن فيها الكافر إني استخلفت[3] عمر ابن الخطاب فإن أحسن السيرة فذلك ظني به والخير الذي أردته وإلا فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[4] . وأما العمدة في إمامة عثمان وعلي فهي البيعة كما صرح به المصنف فيما بعد . وأراد بالأركان عثمان وعليا وعبد[5] الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ، وذلك أن عمر رضي الله عنه لما استشهد ترك الخلافة شورى[6] فيما بينهم وهم فوضوا الأمر إلى عبد الرحمن بن عوف ورضوا بمن اختاره فاختار عثمان وبايعه بمحضر من الصحابة فبايعوه وانقادوا لأوامره وأقاموا معه الجمع والأعياد . وهذا معنى قوله :

فَسَلَّمَتْ خَمْسَــةٌ مِــنْهُمْ لِسَادِسِــهِمْ فَبَــايَعُوهُ بِطَــوْعٍ بَــيْنَ الْأَعْيَــانِ[7]

قال:وَذَاكَ عُثْمَانُ ثُمَّ الْقَــوْمُ جِلَّــتُهُمْ قَــدْ بَــايَعُوا لِعَلِــيٍّ عَقْــدَ رِضْــوَانِ

---

(١) أ: الذين . (٢) أ: منه . (٣) أول ق ٧٥ في أ .

(٤) قارن بما ورد في تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي : ٦٢ وما بعدها .

(٥) أول ق ٩٠ في ز . (٦) ز: سورى . (٧) ز: أعيان .

أقول : يعني لما استشهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وترك الأمر مهملا اجتمع كبار المهاجرين والأنصار والتمسوا منه قبول الخلافة ، فبايعوه بأجمعهم لأنه كان أحقهم وأولاهم بالخلافة .

قال: لاَ نَصَّ فِيهِ جَلِياً بَلْ قَدِ اجْتَهَدُوا لَكِنْ مُعَاوِيَةُ الْمُخْطِئُ كَمَرْوَانِ

أقول : يريد أنه لم يوجد نص صريح يدل بالضرورة على خلافة علي رضي الله عنه كما ادعاه الشيعة بل إنما يثبت خلافته باجتهاد الصحابة واتفاقهم على أنه أولى وأفضل من أهل عصره فلهذا خالفهم معاوية رضى الله تعالى عنه وأدى رأيه إلى خلافته لكنه أخطأ[1] فتدبر .

قال: وَاذْكُرْ صِحَابَ[2] رَسُولِ اللهِ بِالبِرِّ وَالْخَيْرِ وَاهْجُرْ طَعْنَ مِطْعَانِ

أقول: لقوله ﷺ «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وقوله عليه السلام «أكرموا أصحابي فإنهم خياركم» وقوله «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم[3] عرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله[4] يوشك أن يؤاخذ» ، وكالأحاديث الصحيحة المنقولة في مناقبهم كما ذكر في الصحيحين وغيرهما .

وأما ما وقع فيما بينهم من المحاربات والمنازعات فينبغي أن يحمل على محملات صحيحة ولا يطعن بها فيهم ومن سبهم وطعن فيهم يخاف أن يقع في الكفر ويعد من أهل الأهواء والابتداع فإن كلهم بذلوا للدين مهجتهم[5] وأرواحهم وللشريعة كانوا خير أنصار . اللهم اجعلنا من الذين سلكوا طريقتهم واتبعوا سيرتهم ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا إنك أنت الوهاب .

---

(١) ز: خطأ .
(٢) أ: أصحاب .
(٣) أ: لا يتخذوهم .
(٤) أ: بدون (ومن آذى الله) .
(٥) أ: محبتهم .